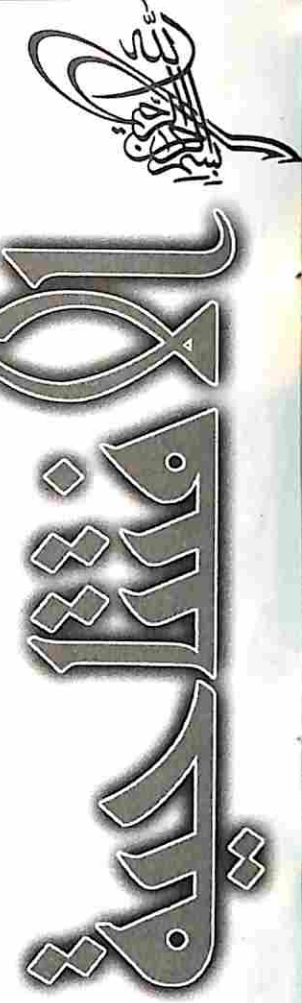

دور الأدب في زمن الوهن العربي

تكاد مقولة " التاريخ يعيد نفسه " تصبح حقيقة واضحة ، شريطة ألا ننتظر من التاريخ أن يعيد نفسه كما يستعاد الشريط المصور ، ولكنه يعيد نفسه في ظروف متشابهة وأسباب متماثلة تؤدي إلى نتائج متقاربة .

أوَلا يذكرنا ما سميناه بزمن الوهن العربي بل والإسلامي الذي تّمر به الأمة بما كانت عليه في أثناء الغزو المغولي وفي عصر الحروب الصليبية من وهن وفرقة وتشرذم ، حتى نرى في تاريخ ابن الأثير من أخبار وهن الأمة ما لا يكاد يُصدّق .

وإذا كانت افتتاحية موجزة في مجلة أدبية متخصصة لا تتيح المجال للإفاضة في حديث له شؤونه وشجونه فإننا نكتفي بالإشارة إلى دور الأدب نثره وشعره في استنهاض الأمة ورفعها إلى مستوى معركة المصير في معركة حطين .

ويكفي أن نشير في دور النثر إلى مقولة صلاح الدين الأيوبي : " والله ما أخذت البلاد بالعساكر ، بل فتحتها برسائل القاضي الفاضل". وإذا كنا ننظر اليوم في كتابات القاضي الفاضل فنراها بمقياس عصرنا مثقلة بقيود الصنعة والتكلف .. فقد كانت تلك لغة العصر وتقاليده الأدبية . وما من شك في أن رسائله كانت تؤدي دورها الذي أشاد به صلاح الدين في إعادة الأمة إلى دينها القويم وأخلاقها الأصيلة ، وتدعو إلى رفض الفرقة والتناحر ، وإلى أن ينضوي الجميع تحت راية الجهاد التي رفعها صلاح الدين خالصة لوجه الله عز وجل .

كذلك كان دور الشعراء في تصوير فظائع الصليبيين واستنهاض همم الحكام المتقاعسين وتمجيد الأبطال ورثاء الشهداء .. حتى إذا أدّوا دورهم في ذلك مضوا يرددون أهازيج النصر ، فكان منهم في بلاط صلاح الدين في دمشق نحو من خمسين شاعراً مضوا يتنافسون في مديحه بعد أن استعاد بيت المقدس ونصب في المسجد الأقصى محراب نور الدين الشهيد .

وإذا كنا نهيب بالأدباء الإسلاميين كتاباً وشعراء أن يؤدوا واجبهم في معركة المصير مع اليهود فنحن نعلم حق العلم أن الأمة لا تنهض بالأدباء وحدهم ، وإنما لا بد من أن يتضافر دورهم مع دور علماء الأمة يؤدونه على هدى وبصيرة ، ومع دور حكام الأمة يؤدونه بوازع من الشعور بالمسؤولية أمام الله عز وجل ، بل لا بد لكل فرد من أفراد الأمة مهما كان موقعه ومهما كانت إمكاناته أن يستشعر مع الحكام والعلماء والأدباء قول الله عز وجل " وقفوهم إنهم مسؤولون " وقوله تعالى " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " وقول الرسول صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته "

رئيس التحرير